جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز/ فاس

شعبة الدراسات الإسلامية
مسلك الدراسات الإسلامية
الموسم الجامعي:2019/ 2020

الوحدة: مدخل لدراسة الفكر الإسلامي

الأستاذ: الحسن حمدوشي

الأستاذ: محمد البنعيادي

الفصل الثاني / الفوجان الأول والثاني// الدورة الربيعية من سلك الاجازة

.....

الفكر الإسلامي: قراءة في المفهوم

تمهيد

يعتبر التفكير أهم مظهر من مظاهر وجود الإنسان وهو الذي مكنه من احتلال المنزلة العليا في عالم الكون مما جعله يتميز عن كل مخلوقات الوجود من حيوان وغيرهK فبالتفكير يستطيع أن يواجه الإنسان كل ما حوله ليكتشف فيه ما يساعده على التكييف وعمارة الكون وإنشاء الحضارات وصناعة الثقافات.

ولقد جعل الله تعالى الإنسان خليفته في الأرض، وحمله الأمانة من أجل أن يحقق مسؤوليته من خلال عملية التفكير التي من أهم وظائف إعمال العقل،ليقوم بتنفيذ التكاليف التي فرضت عليه والامتثال إليها ضمنا عند قبوله تلك الأمانة، باعتبارها تكليفاً وتشريفاً في آن واحد، قال تعالى{**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا** }،ظلوما لنفسه ، جهولا بقدراته وطاقاته وإمكاناته.

فالتفكير إذن؛ فطرة بشرية، والوحي دين الفطرة، لذلك نجد القرآن الكريم دائما يدعو إلى إعمال العقل، وتفعيل وظيفته التفكيرية، وعدم تعطيل طاقاته، وفسح المجال أمامه للإبداع والإنتاج في مجالات الحياة المختلفة. وعليه فليس هناك كتاب سماوي أو غير سماوي طلب من الإنسان أن يوظف إمكاناته وطاقاته الفكرية، ويشجعه على إعمالها كالقرآن الكريم، وهذا واضح في كثير من الآيات، بصور متنوعة، وبأساليب شتى وفي كل المجالات[1]، كلها تدعو الإنسان العاقل إلى التفكير العميق في مصير الكون والحياة والإنسان

قبل بيان ما المقصود بالفكر الإسلامي، لابد من الوقوف أولا على بعض مجالات التفكير والتأمل

[1] نستثني من ذلك البحث في حقيقة الذات الإلهية، وغيرها مما يدخل في عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الحق سبحانه وتعالى.

1/ **بعض مجالات التفكير**

أ/**التفكر في الآيات التنزيلية :**

● **مجال ضرب الأمثال:** مما هو مجال للتفكير والتأمل نجد الآيات المتعلقة بضرب الأمثال، لذلك وصف الله تعالى الذين يفقهونها ويدركون مرامیها بالعلم والعقل ، قال تعالى{..وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون}[2]. ومن الأمثال أيضا التي اقترنت بالدعوة إلى التفكر قوله تعالى{واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون }[3].فقد نزلت الآية في رجل من بني إسرائيل، حمله إخلاده إلى الأرض وإتباع شهواته على الانسلاخ عن هدي الله تعالى وآياته، وآثر بذلك اللهث وراء المطامع والأهواء على الهداية، فهو دائم اللهث وعظته أو لم تعظه. كما أن الكلب دائم اللهث حملت عليه أو لم تحمل عليه، وهذا المثل القصصي مدعاة للتأمل والتفكير من المعاصرين للنبي عليه السلام ومن سيأتي بعدهم.ليرتفع هؤلاء بآيات الله تعالى ولا يخلدوا إلى الأرض. ففي ضرب هذا المثل إغراء بالالتزام بما شرع الله تعالى وتحذير من الانسلاخ عن هذا الهدي...

● **التفكير في حكمة التشريع:** ومن آيات الكتاب التي هي مجال للتأمل والتفكر **حكمة التشريع**، فقد لفت الانتباه إليها بقوله تعالى{**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** }[4]. وقد بين الحق سبحانه شيئا من هذا الإثم الكبير في الآية الآخرة { إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون}[5].إن الأحكام الشرعية من حلال وحرام...لم تشرع عبثا، إنما لفائدة وحكمة، ومن ثم يأتي التوجيه القرآني داعيا إلى التفكير فيها، وذلك ليكون الالتزام بتنفيذها قائما على قناعة عقلية، بأنها الحق الذي لايجوز العدول عنه أو التفريط فيه.

ب/**التفكر في آيات الكون:**

كما أن الآيات التنزيلية مجال للتفكر والتأمل، فإن الآيات الكونية هي مجال آخر للتفكر وإعمال العقل، تلك آيات مسموعة ومقروءة، وهذه آيات مشهودة منظورة، لما فيها من دلالات كثيرة على الحقائق التي صرح بها أو أشار إليها،فمن ذلك:

● **التفكير في آيات الأنفس:** ومن مجالات التأمل والتفكر في آيا ت الأنفس قوله تعالى {أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى، وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون }[6]. في الآية دعوة إلى التفكر في

---

[2] العنكبوت: 43.

[3] الأعراف: 175، 176.

[4] البقرة: 219.

[5] المائدة: 90،91.

[6] الروم:8

الأنفس قياسا على خلق السماوات والأرض وما بينهما والتي خلقت بالحق واجل مسمى،أي كذلك شأن الأنفس فقد خلقت بالحق ولأجل مسمى، ومن ثم فلابد من أن تنتهي الحياة بانتهاء الأجل ولابد من العودة إلى لقاء الله تعالى.

- **التفكير في آيات الآفاق:**

منها: **التفكر في خلق السماوات والأرض**: وذلك في قوله تعالى {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار}[7].ولاشك أن في خلق السماوات والأرض آيات على قدرة الله تعالى ووحدانيته وإرادته وغير ذلك، غير أن سياق الكلام يشير إلى قضية أخرى هنا وهي إثبات المعاد، وهو مستفاد من قوله تعالى{ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار}ووجه الاستدلال؛ أنه إذا لم يكن خلق السماوات والأرض باطلا لما تحتويه من العجائب فإنها تدل على قدرة الله وحكمته،والقادر الحكيم لايمكن أن يخلق الإنسان عبثا أو يتركه سدى، ومن ثم فلابد من المعاد والجزاء.

ومن أساليب القرآن أيضا في دعوة تحريك الفكر وإعمال العقل، نجد:

- **مجال الصوتيات** وهو نوع من تصوير الألفاظ بجرسها يبدو هذا الأسلوب مثلا في سورة الناس، قال تعالى { قل أعوذ برب الناس. ملك الناس.إله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنة والناس}[8]. فإذا قرأتها متوالية فإنك تجد صوتك يحدث ‹**وسوسة**› كاملة تناسب جو‹ **وسوسة**›﴿ الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس﴾.وكذلك قوله تعالى{فكبكبوا فيها هم والغاوون. وجنود إبليس أجمعون}. فكلمة **كبكبوا** يحدث جرسها صوت الحركة التي تتم بها.

- **مجال الأسئلة الاستنكارية** : منها قوله تعالى{قل أرايتكم عن آتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون}. إلى غير ذلك من الآيات في هذا الباب.

مما سبق يتبين أن القرآن الكريم يدعو إلى منهج في التفكير، وقد تجلى ذلك واضحا في استثارته وتحريكه للعقل الإنساني طالبا منه تنمية حواسه وفق هذا المنهج، ونبذ كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الركود الذهني وتعطيل عمل العقل أو إلى شل حركة التفكير والتأمل.

2/الفكر الإسلامي: تعريف وتحديد

إن تحديد المصطلحات التي يراد استعمالها أمر في غاية الدقة والإحكام، لأن المفهوم في جوهره لايعد كلمة بسيطة، إنما يحمل من المضامين والمعاني ما يفوق كثيرا إطاره اللفظي.

وهكذا تشكل الكلمات والمصطلحات نفسها أداة للتعبير وإطارا للمعاني، تحمل مدلولات نفسية تلقي بظلالها على ذهن السامع وروح القارئ أو المتلقي، فتحركه أو تقعده أو تؤثر عليه في أي اتجاه، وهذا يعني أن هناك علاقة تأثير وتؤثر بين المفهوم

---

[7] آل عمران: 190،191.

[8] سورة الناس.

المستعمل والمتداول وبين الواقع الإنساني. كما تعتبر المصطلحات من أخطر المعارك في مجال الصراع الحضاري والثقافي بحيث تقذف المجتمعات الحديثة والمعاصرة بين الفينة والأخرى عبر مؤسسات الإعلام وغيرها، بكثير من المصطلحات والمفاهيم الفكرية والسياسية والاقتصادية، حتى عدها البعض ضمن ما يصطلح عليه بحرب المصطلحات

ولعل من المفاهيم والكلمات التي تحتاج إلى نوع من البيان والتوضيح مصطلح الفكر الإسلامي، لما يحمل هذا المفهوم من حمولات وتأويلات.

ولاشك أن شيوع استخدام مصطلح " الفكر" في الأوساط العلمية شيوعا واسعا أعطى قيمة غير طبيعية للكلمة، مما أدى إلى استخدامها في مواضع عديدة يعجز الإنسان عن فهم معناها في كثير من الأحيان، ومثل ذلك عندما نقول: (الموائد الفكرية، الخلطات الفكرية، و المداعبات الفكرية، والدعارة الفكرية) وغير ذلك من المصطلحات التي تنسب إلى الفكر

من هنا تبدو الحاجة ماسة إلى دراسة مصطلح الفكر الإسلامي وتحديد مفهومه وما يمكن أن يفهم من هذا التحديد من معان ودلالات.

أ - تعريف الفكر في المعاجم اللغوية و الفلسفية:

- تعريف الفكر في المعاجم اللغوية:

يقول الفيروز آبادي في القاموس المحيط مادة فكر: الفكر، بالكسر ويفتح، إعمال النظر في الشيء، كالفكرة. و الفكري بكسرهما ج: أفكار. فكر فيه وأفكر وفكر وتفكر وهو فكير فيكر كثير الفكر[9]. وعرف ابن منظور الفكر بالفَكْر، والفِكْر إعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر. قال وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكارا. والتفكر اسم التفكير، ومنهم من قال فكري، وقال الجوهري: التفكر: التأمل[10].

ومن تعريفات القواميس الحديثة ننقل هنا تعريفات لـ:

المعجم الوسيط: وقد ذكر المعجم تعريف الفَكر بـ: فكر في الأمر: فكرا: أعمال العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول. **فكر** : في الأمر مبالغة في الفكر وهو أشيع في الاستعمال من فكر.**افتكر**: تذكر وفي الأمر أعمل عقله فيه.**التفكير** : إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها.**الفكر**: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول.**الفكرة:** الصورة الذهنية لأمر ما[11].

- تعريف الفكر في المعاجم الفلسفية:

[9]- لكن الفيروز آبادي في كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ص 212، يرى "الفكر هو القوة المطرقة للمعلم إلى المعلوم، و التفكر: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل. وهو بهذا يفرق بين الفكر والتفكير، ويتطابق تعريفه الأخير هذا مع تعريف التهانوي الذي سنذكره عند الكلام على تعريف الفكر عند الكلام على تعريف الفكر عند العلماء قديما.

[10]- لسان العرب: مادة فكر

[11]- إبراهيم أنيس ورفاقه، المعجم الوسيط (مصر: مجمع اللغة العربية ، ط2،بدون سنة نشر)ج1

أما في المعجم الفلسفي:فالفكر هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، وهو مرادف للنظر العقلي Reflection، والتأمل Meditation، ومقابل الحدس intuition [12]. ثم ذكر معاني الفكر عند الفلاسفة، ووصل إلى نتيجة قال فيها:" وجملة القول: إن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية وهي النظر و التأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على الموضوع الذي تفكر فيه النفس[13]. وعرف الفكرة بأنها التصور الذهني، أو هي حصول صورة الشيء في الذهن[14].

- **أما في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي**، فقد ورد التعريف الآتي للدكتور شاكر قنديل: تفكير: نظام معرفي يقوم على استخدام الرموز التي تعكس العمليات العقلية الداخلية إما بالتعبير المباشر عنها، أو بالتعبير الرمزي، و مادة التفكير الأساسية هي المعاني والمفاهيم والمدركات[15].و قد ذكر مؤلفو موسوعة تعريفات أخرى للتفكير العياني و المجرد وغيرهما، وهي تعريفات تدور حول أقسام التفكير المذكور في التعريف أعلاه.

- **الموسوعة الفلسفية**: فقد ذكرت التعريفات التالية[16]:

أ- الفكر: النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم عضوي خاص، وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات. ويظهر الفكر خلال عملية أنشطة الإنسان الاجتماعية والإنتاجية. ونجد تفسير هذه الحقيقة القائلة بأن الفكر يرتبط ارتباطا لا ينفصم بأنشطة مثل العمل والكلام. ويشتمل التفكير على عمليات مثل التجريد والتحليل والتركيب، وصياغة مهام محددة، واكتشاف حلول لها والتقديم بفروض ومفاهيم...إلخ[17]

ب-حاولت المثالية جهدها دائما أن تفصل الفكر عن المادة (الدماغ البشري واللغة ونشاط المجتمع العلمي)[18].

ج- **في علم النفس**: الفكر هو عملية تفاعل الفرد العارف مع موضوع المعرفة أي حالة التي تسبق مباشرة قدرة الفرد على تحديد مكانه في الواقع.

- الفكر هو الشرط الجوهري لأي نشاط آخر، طالما أن هذا النشاط هو نتيجته المجملة والمتمثلة. والكلام هو صورة الفكر[19]. **الفكرة**: اصطلاح فلسفي يشير إلى المغزى أو المعنى أو الجوهر. وهذه المسألة لم توضح بطريقة علمية متماسكة ألا في المادية الجدلية التي تعتبر الفكرة انعكاسا لواقع موضوعي. وتفهم الفكرة أيضا على أنها شكل أو منهج للمعرفة، الغرض منه

---

[12]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج/ ص 154

[13]-المصدر السابق، ص 156

[14]- المصدر السابق، ص 157

[15]- د. فرج عبد القادر طه ورفاقه، موسوعة علم النفس و التحليل النفسي ص 233

[16]- ألفت هذه الموسوعة من قبل بعض العلماء السوفيات، وقد أوردنا منها هذه التعريفات، على الرغم من أنها تمثل اتجاها بني على الفكر الماركسي الإلحادي، لأنها تمثل رأيا لكثير من المفكرين والكتاب المعاصرين.

[17]- نخبة من علماء السوفيات، ترجمة سمير كرم، الموسوعة الفلسفية (بيروت: دار الطليعة ط6، 1987) ص 332

[18]- المصدر نفسه، ص 333

[19]- المصدر نفسه.

صياغة المبدأ النظري المعمم الذي يفسر الجوهر[20] . يتضح لنا مما سبق من التعريفات[21] أن معنى الفكر في القواميس القديمة والحديثة يدور حول معنيين. الأول منها، وهو الأغلب، يأتي بمعنى إعمال النظر، والتأمل في مجموعة من المعارف بغرض الوصول إلى معرفة جديدة، وهو بهذا عملية يقوم بها العقل أو الذهن بوساطة الربط بين المدركات أو المحسوسات واستخراج معان غائبة عن النظر المباشر[22] . أما المعنى الثاني فيأتي. بمعنى الثمرة التي تنتج عن عملية التفكير، فالفكر هو الناتج لعملية التفكير، وهو المعقولات نفسها.

ومن التعريفات السابقة نسجل ما يلي:

- عدم اتفاق واضعي هذه التعاريف على الأداة أو الجهة المسؤولة عن عملية التفكير، فماذا يقصد بإعمال النظر؟ هل يقصد العقل الذي قد يختلف الناس على تعريفه أو تحديد ماهيته؟ أو الدماغ لكونه عضوا في رأس الإنسان ووسيلة لتحليل المعلومات؟ أم أن المسئول عن عملية التفكير هو جهاز آخر أو جهة أخرى؟ أو أن هناك مجموعة من الآلات التي تقوم مجتمعة بهذه العملية.

- إن القول بأن الفكر هو ثمرة عملية التفكير والناتج الذي يصدر عنها، أمر فيه من الخلط ما لا يخفى على متدبر، لأن هذا المفهوم يعني شمولهم لكل ما أنتجته البشرية، فالكلام هو نتاج لعملية تفكير، والعلوم كلها كذلك، والصناعات والتجارة والتعامل الاجتماعي والاقتصادي كله يصبح بهذا المفهوم فكرا، ولو رجعنا إلى تعريفات الذين قالوا بأن الفكر هو ثمرة لوجدنا لو وجدنا أنهم يفصلون بين هذه الأشياء وبين الفكر، وخير مثال على ذلك الادعاء بأن الكلام يتصل بالفكر اتصالا وثيقا، فهو بهذا المعنى ليس بفكر، وسنفصل القول في هذه المسألة عند التطرق إلى أقوال المحدثين عن معنى الفكر.

- هناك من جعل الفكر مرادفا لعمليات أخرى مثل التأمل والنظر، فهو يأخذ الفكر كل معاني تلك المرادفات أو يشترك معها في بعض خصائصها؟ لأننا في هذه الحالة يجب أن نبحث عن معاني تلك المرادفات حتى نحصل على معنى واضح للفكر.

ب- الفكر في القرآن الكريم:

وردت مشتقات الفكر في القرآن الكريم في (18) ثمانية عشر موضعا[23]، ولم ترد الكلمة بصيغة الجذر(الفكر) وإنما وردت بصيغة الفعل فقط، وفيما يلي الصيغ التي وردت بها الكلمة.

---

[20]- المصدر نفسه، ص 336

[21]- تم الاكتفاء بهذه التعريفات التي أخذت من القواميس، وذلك لتشابه تعريف الفكر في كل القواميس تقريبا، ولذلك فلا جدوى من ذكر مجموعة أكبر من التعريفات إلا التكرار.

[22]- أكد د. طه جابر العلواني هذه الخلاصة، فقال: " ولكني أستطيع أن أقول: إنني خرجت من خلال دراسة لما ورد في هذه المصادر بأن الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سوء أكان قلبا أو روحا أو ذهنا بالنظر و التدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء".ينظر: الأزمة الفكرية المعاصرة، ص 27.

[23]- ورد في كتاب الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه العلواني، إن الكلمة وردت في القرآن في عشرين موضعا لكن بالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ص.667 لم يتفق إلا على ثمانية عشر موضعا، ولذلك فإن الرقم المذكور في الكتاب الأزمة الفكرية ربما يكون بسبب خطأ مطبعي.

- **سورة البقرة:**﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾(219). ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (266).

- **سورة آل عمران:** ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (191).

- **سورة الأنعام:** ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون﴾(50).

- **سورة الأعراف:** ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلكم مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (172). ﴿ أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾ (184).

- **سورة يونس:** ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها أزينت وظن أهلها إنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغنى بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ (24).

- **سورة الرعد:** ﴿ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين أثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (3).

- **سورة النحل:** ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون﴾(11). ﴿ ...وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾(44). ﴿ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون﴾ (69).

- **سورة الروم:** ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(8).﴿ أولم يتفكرون في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وأن كثير من الناس بلقاءي ربهم لكافرون ﴾(61).

- **سورة سبأ:** ﴿ قل إنما أعضكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكرون ما بصاحبكم من جنة إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾(42).

- **سورة الزمر:** ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها و التي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (42).

- **سورة الجاثية:** ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون﴾ (13).

- **سورة الحشر**: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلكم يتفكرون﴾(21).- **سورة المدثر**: ﴿ إنه فكر وقدر ﴾(18).

يتضح لنا من النصوص القرآنية التي ذكرت أن اللفظ جاء بصيغة الفعل فقط، ويبين لنا الجدول الآتي تفصيلا لهذه الصيغ وتكرارها:

صيغة الفعل	نوع الفعل	عدد مرات التكرار
فكر	الماضي	مرة واحدة
تتفكروا	المضارع	مرة واحدة
تتفكرون	المضارع	ثلاث مرات
يتفكروا	المضارع	مرتان
يتفكرون	المضارع	أحد عشر مرة

استنتاج

من خلال هذا الجدول نرى أن الفعل جاء بصيغة المضارع في سبع عشرة مرة، وجاء بصيغة الماضي مرة واحدة فقط، والفعل المضارع كما هو معلوم يدل على حال والاستمرار، كما أن الفعل جاء مقرونا بواو الجماعة في الصيغ المضارع.إن مجيء لفظ الفكر في القرآن بصيغة الفعل يدل دلالة صريحة على إعمال العقل و النظر، أي أن التفكير في القرآن يعني إعمال العقل[24] والنظر في آيات الله، وفي الدنيا وحالها ...إلخ. ولم يرد التفكر بمعنى آخر من المعاني التي ذكرناها في التعريفات السابقة للفكر، أي بمعنى الناتج عن إعمال العقل والنظر. كما أن طلب الفعل هذا جاء من الله للجماعة، ولذلك يمكن القول بأن التفكير الجماعي يطلب من الأمة أكثر من التفكير الفردي، وأن التفكير الفردي يكون في شؤون الفرد، ويمكن إدخال مفهوم التفكير الشوري تحت مفهوم التفكير الجماعي، وقد رأينا الفعل لم يأتي بصيغة المفرد إلا مرة للذم. والنتيجة هذه لا تعني أن القرآن لم يهتم بالثمرة التي تأتي بعد عملية التفكير، بل على العكس تماما، فالقرآن إنما دعانا للتفكير من أجل الثمرة نفسها، لمعرفتها والعمل من أجل قطف الطيب من ثمارها وتجنب السوء الذي يأتي بسبب تجاهلها، وإنما الذي نعنيه أن القرآن أعطى لكل معنى من المعاني مصطلحا خاصا به، فهناك فرق مثلا بين العلم والفكر، ويمكن أن يكون الأول نتيجة وثمرة للثاني ولكنه ليس نفسه بل يختلف عنه. أما علماء التفسير فقد فسروا التفكر بمعنى النظر و التأمل، وفي بعض الأحيان كانوا لا يتطرقون إلى معنى هذه الكلمة، وكأن القارئ يفهم معناها بداهة، فلا حاجة لذكر ذلك المعنى. وفيما يلي بعض النصوص التي تؤيد هذا الكلام: قال الزمخشري في تفسير الآية 219 من سورة البقرة: ﴿ لعلكم تتفكرون في الدنيا و الآخرة﴾:"

[24]- وردت صيغة يعقلون في القرآن بمعنى التفكر والنظر، قال تعالى في سورة النحل: ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾، ومثل هذا كثير، وتكاد تتطابق آيات التعقل مع آيات التفكر من حيث أنها ترد في سرد عظمة خلق الله، وجعل ذلك آية للمتفكرين العاقلين

إما أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى: لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بين لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة، أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ".[25] ولم يتطرق الزمخشري في تفسيره للآية رقم 266 من السورة نفسها إلى معنى التفكر، بل تجاوزه وقال كلاما يدل على أن الآية فيها مثل ضرب للناس ليعقلوه[26] .كما ورد في تفسير الآية رقم 191 من سورة آل عمران كلاما يدل على أن التفكر هوا لتأمل في خلق الله ، وأورد حديث " لاعبادة كالتفكر"[27]. وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ إنه فكر وقدر﴾:" ومعناه فكر ماذا يقول غفي القرآن[28] وذكر القرطبي تفسيرا قريبا من تفسير الزمخشري للآية رقم 219 من سورة البقرة فقال: "أي كذلك يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا و الآخرة لعلكم تتفكرون في الدنيا وزوالها وفنائها فتزهدون فيها وفي إقبال الآخرة وفنائها فترغبون فيها[29] وأورد التفسير نفسه للآية 266 من سورة البقرة، فقال: " ابن عباس أيضا : تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها[30] . أما ابن الكثير فلم يعط معنى للتفكر يختلف عن بقية التفاسير ، بل أورد تفسيرات لهذه الكلمة تدور في معاني بقية المفسرين، فعند تفسيره للآية رقم 8 من سورة الروم يقول:"يقول الله تعالى منبها على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده... ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾ يعني به النظر والتدبر والتأمل[31] وعند تفسيره للآية رقم 3 من سورة الرعد: "﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾أي ينظرون في آلاء الله ويتعظون"[32] وقال الطبرسي في تفسيره للآية رقم 219 من سورة البقرة: ﴿ لعلكم تتفكرون﴾ أي لكي تتفكروا (في الدنيا و الآخرة) أي في أمر الدنيا وأمر الآخرة"[33].

نستخلص من تتبع تفسير آيات التفكر عند المفسرين، أن التفكر يعني النظر و التأمل، وهو بمفهوم أهل اللغة والنظر للوصول إلى المجهول، وهو عملية العقلية التي يقوم بها الإنسان من أجل الوصول إلى حقائق معينة.فالمعنى القرآني يدور حول الفعل (عملية التفكير)، ولا يعطي معنى الثمرة أي ما يلي عملية التفكير من ناتج.

ج. الفكر عند العلماء قديما:

تطرق العلماء قديما إلى كلمة الفكر كثيرا في مؤلفاتهم، وعرفوها بتعريفات عدة وذلك لأن الجدل في زمانهم كان يدور حول العقل، و المعرفة، وطريقة استنباط العلوم، وغير ذلك من القضايا الفلسفية التي دخلت إلى العلوم الإسلامية نتيجة الاحتكاك و

---

[17] - الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل (بيروت: درا المعرفة للطباعة والنشر،بدون سنة النشر) المجلد الأول، ص.360

[26] - المصدر نفسه، ص.395

[27] - المصدر نفسه، ص 488.

[28] - المصدر ، المجلد الرابع، ص182

[29] - القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن (بيروت: مؤسسة مناهل العرفان ، بدون سنة نشر(م/12، ج/3 ص 62.

[30] - المصدر نفسه، ص 320.

[31] - تفسير القرآن العظيم (الرياض : مكتبة دار السلام ، 1992)ج 3، ص 470.

[32] - ج2 /548

[33] - مجمع بيان في تفسير القرآن ج 554/1ويمكن الرجوع إلى التفاسير الآتية، التي ذكرت المعاني نفسها في تعريف التفكر:

+ الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني

+ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير وقد ربط الطاهر بن عاشور بين التفكر في الدنيا والآخرة بدلالة الآية ربطا جميلا بديعا .

التأثر بالثقافات الأخرى: الفارسية، و اليونانية، والهندية، وغيرها من الثقافات.و الملاحظ على هذه التعريفات أنها متقاربة المعنى، فهي تأتي دائما. بمعنى النظر و التأمل، وإعمال العقل في المعلوم للوصول إلى المجهول.وفيما يلي بعض هذه التعريفات:

أولا: يعرف الغزالي الفكر بقوله: "اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة[34] وقد ضرب الغزالي المثال الآتي للفكر:" الأبقى أولى بالإيثار، والآخرة أبقى، فالآخرة أولى بالإيثار"[35] ويرى الغزالي أن الفكر و التأمل والتدبر بمعنى واحد فيقول: " أما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة"

ثانيا: ويعرف الرازي الفكر بتعريف مقارب لتعريف الغزالي فيقول:" النظر هو ترتيب تصديقات يتوصل بها إلى تصديقات أخرى ، فإن من صدق بأن العالم متغير، وكل متغير ممكن، حتى لزمه التصديق بأن العالم ممكن فلا معنى لفكره إلا ما حضر في ذهنه من التصديقين المستلزمين للتصديق الثالث"[36] . ومما يؤكد أن الرازي يقصد بالنظر في تعريفه" الفكر"ما قاله في المسألة العاشرة:" قد عرفت أن الفكر: ترتيب تصديقات يتوصل بها إلى تصديقات أخرى، ثم التصديقات المستلزمة إن كانت مطابقة لمتعلقاتها فهو الفكر الصحيح، وإلا فهو الفكر الفاسد"[37] إذن فالفكر عند الرازي هو النظر، ويعني به إعمال العقل في علوم متيسرة للإنسان ليوصل بذلك إلى علوم أخرى غير متيسرة، فهو حركة العقل التي يقوم بها من اجل التوصل إلى أمر ما، ويوضح هذا المعنى قول الرازي: "ومنه من جعل الفكر أمرا وراء هذه التصديقات المرتبة – إما عدميا وهو الذي يقال -: الفكر تجريد العقل عن الغفلات، أو وجوديا، وهو الذي يقال الفكر هو تحديق العقل نحو المعقول" [38]. وهكذا نرى من خلال كلام الرازي أنه لا يختلف كثيرا في فهمه للفكر عن الغزالي، حتى أنه أعطى مثالا يكون متطابقا للتعريف الذي أعطاه الغزالي.

ثالثا: ويعرف الجويني الفكر بالنظر، ويقسمه إلى صحيح وفاسد، ويقول: "والنظر في اصطلاح الموحدين هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن.ثم ينقسم النظر إلى قسمين: إلى الصحيح، وإلى الفاسد"[39].

رابعا: ويرى الباقلاني أيضا أن الفكر هو النظر، ويتضح لنا هذا من خلال كلامه عن العلوم النظرية، فيقول:" فإن قيل: فما معنى تسميتكم للضرب الآخر منها علم نظر و استدلال؟ قيل له: مرادنا بذلك أنه علم يقع بعقب استدلال وتفكر في حال المنظور فيه أو تذكر نظر فيه فكل ما احتاج من العلوم إلى تقدم الفكر و الروية وتأمل حال المعلوم فهو الموصوف بقولنا علم

---

[34]- إحياء علوم الدين ج4/ص425.

[35]- المصدر نفسه.وهذه المقدمة يستعملها أهل المنطق، وأهل الكلام كثيرا، وقد دخلت طريقة الاستدلال هذه في العلوم الإسلامية نتيجة للتأثر بالفلسفة اليونانية

[36]- كتاب المحصل ص 121

37- المصدر السابق، ص 138.

38 - نفسه ،ص 122

[39] - إمام الحرمين الجويني، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد،ص25.ويبدو أن الرازي قد نظر إلى تعريف الجويني وتقسيمه للفكر- أو النظر فلا فرق- وهو يتكلم عن أحكام النظر، حتى أن عنوانه هذا" أحكام النظر " هو العنوان نفسه الذي ذكر فيه الجويني تعريف الفكر.

نظري"[40] ويورد في مواقع أخرى كلاما يدل على أن الفكر أو النظر هو عملية يقوم بها القلب بصفته وسيلة الإدراك للوصول إلى مراده"[41].

خامسا: "أما أبو منصور البغدادي فلا يختلف في تعريفه للفكر عن بقية العلماء الذين ذكرنا، فهو يرى بأن الفكر هو النظر، وأن النظر هو العملية التي يقوم بها العقل من أجل الوصول إلى المعارف و التي سماها المعارف العقلية النظرية"[42].

سادسا: أما التهانوي فيعرف الفكر بثلاثة تعريفات رجوعا إلى أقوال المتقدمين من المنطقيين فيقول:"الأول حركة النفس في المعقولات بواسطة القوة المتصرفة، أي حركة كانت، أي سواء كانت بطلب أو بغيره، سواء كانت من المطالب أو إليها"[43] و" الثاني حركة النفس في المعقولات مبتدئة من المطلوب المشعور بوجه ما مستغرقة فيها طالبة لمباديه المؤدية إليه إلى أن تجدها وترتبها فترجع منها إلى المطلوب أعني مجموع الحركتين" [44] و" الثالث هو الحركة الأولى من هاتين الحركتين أي الحركة من المطلوب إلى المبادي وحدها من غير أن توجد الحركة الثانية معها وإن كانت هي المقصودة منها"[45]. والتهانوى يرى أن هناك قوة متصرفة هي التي تقوم متصرفة هي التي تقوم بعملية التفكير، وتسمى على حسب الحركة التي تقوم بها، فهي" تسمى باعتبار الأول متفكرة، وباعتبار الثاني أي باعتبار الثاني أي باعتبار حركة النفس بواسطتها في المحسوسات تسمى متخلية هذا هو المشهور"[46] كما يرى التهانوي أن الفكر و النظر. بمعنى واحد، أو أن النظر يدخل بمعنى أخص تحت الفكر فيقول:" ولاشك أن النفس تلاحظ المعقولات في ضمن تلك الحركة فقيل الفكر هو تلك الحركة والنظر هو الملاحظة التي في ضمنها وقيل لتلازمها أن الفكر والنظر مترادفان"[47].

سابعا: أما ابن القيم فقد قسم العمليات التي يمر بها الإنسان وهو يفكر إلى مراحل، الأولى وهي: " اليقظة وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين"[48] والثانية وهي مرحلة التي تهمنا وهي مرحلة " الفكر وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملا، ولما يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه[49] والمرحلة الثالثة هي مرحلة التذكر التي قال إن ثمرة الفكرة تجني فيها"[50].

يتضح لنا مما سبق أن أهل العلم سابقا كانوا يرون أن الفكر والنظر بمعنى واحد، وهذا المعنى إعمال العقل في أمور محسوسة أو غير محسوسة للوصول إلى أمر آخر.

---

[40] - تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص:43

[41] - المصدر السابق، ص 34.

[42] - كتاب أصول الدين ، المسألة التاسعة من الأصل الأول ص: 14

[43] - كشاف اصطلاحات الفنون ج 3، ص 1120

[44] - المصدر السابق، ص 1121.

[45] - نفسه.

[46] - المصدر نفسه.

[47] - المصدر نفسه ، وقد قال التهانوي بأن ترادف معنى النظر والفكر هو القول المشهور عند أهل العلم.

[48] - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج 1، ص 151

[49] - المصدر نفسه. وقد أفرد ابن القيم فصلا لمنزلة الفكرة، وقام بتقسيم الفكرة إلى نوعين، ويترتب على هذين النوعين أمران، فصار المجموع ستة.انظر ص 176

[50] - ا- لمصدر نفسه.

كما ذكر ابن القيم أن ثمرة التفكير في مرحلة أخرى لاحقة للتفكير هي مرحلة التذكر.

د. الفكر عند أهل العلم حديثا

تطرق الباحثون في عصرنا هذا إلى كلمة الفكر كثيرا، ووردت في كل الكتب تتحدث عن الإسلام تقريبا، سواء أكانت هذه الكتب تتكلم عن الجوانب فلسفية، أم أمور تعبدية، أم أي فرع آخر من فروع العلوم الإسلامية، ولا يكاد كتاب يخلو من ورود هذه الكلمة فيه.

وبما أن الفكر كلمة عربية فصيحة، فهذا يعني أن لها معنى عند العرب مسجلا في المعاجم وكتب اللغة، وإذا حدث أي تغيير في معنى الكلمة وهو ما يسمى **"بالتطور الدلالي"** فيجب أن يسجل هذا المعنى في المعاجم التي جاءت بعد زمن التطور، أو التطرق إليه الباحثون في اللغويات في كتبهم، أو أهل الفلسفة و العلوم الإنسانية- التي قد تسمى بالنظرية أو العقلية- في كتاباتهم حول هذه المصطلحات.

وبالرجوع إلى المعاجم الحديثة والكتب التي تحدثت عن الفكر والتفكير يمكن استخلاص ما يلي:

أولا: يدور المعنى في المعاجم الحديثة كما ذكرنا سابقا حول معنيين، الأول وهو النظر والتأمل وإعمال العقل، والثاني هو الثمرة التي تأتي بعد عملية التفكير. وقد ذكرنا المصادر في المبحث الأول من هذا البحث.

ثانيا: وردت تعريفات عدة للمصطلح الذي يسمى (الفكر) وكذلك (العقل) في الكتب الفلسفية. ووردت الكلمة في كل الكتب التي تحدثت عن المعارف الإنسانية عموما. وسنتطرق إلى تعريف الفكر في هذه الكتب، ثم نتحدث عن طريقة استخدام الكتاب لهذا المصطلح، والمعاني التي استخدموه فيها، ومدى مطابقة التعريفات الموجودة في الكتب للمعاني المستخدمة. قال د.عبد الرحمان الزنيدي في تعريف الفكر، بعد أن أورد تعريفات القدماء للفكر والتي تدل على معنى النظر وإعمال العقل:" و الفكر في المصطلح الفكري- و الفلسفي خاصة- وهو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل و التدبر والاستنباط والحكم، نحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها، أي: الموضوعات التي أنتجها العقل البشري"[51]، ثم يقول إذا قلنا المنهاج الذي سار عليه الفكر فنقصد التفكير، وإذا قلنا الفكر اليوناني فنقصد نتاج العقل في حركته.

هـ/مفهوم الفكر الإسلامي

بعد أن أوضحنا المقصود من كلمة الفكر ننتقل إلى بيان معنى الفكر الإسلامي ، فقد عرفه عبد الرحمان الزنيدي بقوله هو " **الصنعة العقلية وفق منهج الإسلام** " ويقصد بالصنعة العقلية اجتهادات العلماء والنتائج الموضوعية التي توصلوا إليها. مما يؤكد أن الاجتهادات العقلية هي اجتهادات بشرية، تحتمل الخطأ والصواب، ومن ثم فلابد من دراستها وتحليلها ونقدها نقد الصيارف. كما أن هذا الإنتاج الفكري ينبغي أن يكون موافقا لمنهج الإسلامي ونظرته العامة للوجود والإنسان والكون والحياة. وهذا الشرط هو احتراز عما يمكن أن يقع من خطا في التأمل العقلي.

[51]- د.أبو زيد، عبد الرحمان، حقيقة الفكر الإسلامي (الرياض: دار المسلم، ط 1، 1415هـ) ص 10.

على أن فتح باب الاجتهاد العقلي على مصراعيه، لاشك أنه سيأتي بالغث والسمين، وقد يكون من أهم عوامل تبديد الخوف في مجال التقويم والنقد والتصحيح، الإدراك بأن، الاجتهاد الفكري أو العقلي هو كسب بشري، قابل للفحص والاختبار والتصويب والخطأ..وليس له صفة القدسية أوعلى الأقل ليس هو الدين وإنما هو فهم الإنسان للدين، وخطأ هذا الفهم والاجتهاد لايعني بحال خطأ الدين المعصوم.على أن الخلط الذي وقع بين الوحي المعصوم والاجتهاد البشري أدى في كثير من الأحيان إلى إقحام الفكر البشري في الوحي، وهذا الفهم الخاطئ في التصور الممارسة أدى إلى نتائج في غاية الخطورة على صعيد الممارسة خلال تاريخ الفكر الإسلامي، لأن من أخطر الأمور أن تتحول أفكار بشرية في نواحي الحياة إلى دين مقدس يحاسب الناس عليه.

إذن؛ بعد أن عرف الزنيدي الفكر الإسلامي بدأ بشرح مجالاته،ومصادره، مركزا على أن مصدري الفكر **هما القرآن و السنة**،و"أن مجال الفكر هو القضايا العامة سواء كانت نظرية بحتة كنظرية المعرفة من حيث طبيعتها ومصادرها ومناهجها وفلسفة العلوم، أو كانت اجتماعية أو خلقية ". ثم يذكر أن هناك مجالات لا يدخل فيها الاجتهاد أو الفكر، مثل القطعيات في مسائل العبادات كعدد ركعات الصلاة، ومصارف الزكاة، وكذلك القضايا الكلية في الاعتقاد، مثل وجوب التحاكم إلى شرع الله، وحرمة الولاء للكافرين، واستخلاف الإنسان في الأرض. ثم يتطرق الزنيدي إلى أن الفكر يحتاج إلى أصول مقومة سابقة له حتى يكون صحيحا، ومن هذه المقومات: الأصول العقدية، والضوابط الشرعية، والتصنيف الإسلامي لمناهج العلم والبحث.

كما عرفه محسن عبد الحميد بأنه " كل ما أنتجه فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله عليه السلام إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة، وسلوكا"[52] ثم تكلم محسن عبد الحميد عن أصالة الفكر الإسلامي وتطوره، فقال بأن حركة الفكر الإسلامي قد بدأت منذ عهد الرسول غليه السلام، مرورا بالعصور الإسلامية المختلفة، وقد جعل كل الحركات التي ظهرت في التاريخ الإسلامي تندرج تحت مفهوم الفكر الإسلامي، سواء كانت مصيبة أو مخطئة في اجتهادها، وأطلق مسميات كثيرة نسبها إلى الفكر مثل الفكر الاجتهادي، وغيرها من المصطلحات التي ستعيننا على فهم مصطلح الفكر ومناقشته

. ومن التعاريف أيضا التي ذكرها محسن عبد الحميد هو أن الفكر الإسلامي: هو "نتاج التأمل العقلي المنبثق عن نظرة الإسلام العامة إلى الوجود والمتوافق مع قيمه ومعاييره ومقاصده"

فالمقصود بالنتاج هو حصيلة التفكير (الإنتاج الفكري) وبهذا يخرج حركة العقل. أما التأمل العقلي، فيفهم منه أن ما ينتجه العقل هو عبارة عن اجتهاد بشري، غير معصوم، قابل للخطأ والصواب، ومن ثم فإنه يخضع للنقد والتقويم.، كما يشترط في هذا الفكر أن يكون منسجما ومتوافقا مع التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة، ضمن القواعد العمة للإسلام ومقاصده وقيمه.

ولابد من التنبيه في هذا الصدد إلى قضية أساسية وهي علاقة الاجتهاد العقلي بالنص الشرعي، فقد شاع في الفكر الإسلامي أن هناك تناقضا بين النص والاجتهاد، وذاعت مقولة بنوع من التعميم والاطلاق (لااجتهاد مع وجود النص)، تعميم في فهم معنى النص، وتعميم في الغاية من الاجتهاد مع وجود النص. معناه إذا تقيدنا بهذا الفهم الذي يجعل التعارض والتضاد بين

[52]- تجديد الفكر الإسلامي ص 41.، العهد العالي للفكر الإسلامي، ط1، 1996 .

الاجتهاد والنص، فإننا نخرج بفهم مفاده، أن وجود النص يمنع ويلغي وجود الاجتهاد، ووجود الاجتهاد لايتاتى إلا إذا انعدم النص؟ لكن السؤال المطروح هو ماهوموقف المنهج الإسلامي من هذا الكلام، الذي ولاشك كان له أثره الواضح في الحياة الفكرية والاجتماعية...للأمة الإسلامية،

لذلك نقول إن الاجتهاد كما هو مقرر عند العلماء هو بذل الجهد مع استجماع شروطه وأدواته، واستفراغ الوسع في طلب المقصود. أما ميدانه فهي فروع الشريعة يستنبطها المجتهد من أصولها التي اكتملت، مبادئ وقواعد ضمها الوحي بشقيه كتابا وسنة،إذن الاجتهاد ليس بعيدا عن النص وليس غيبة النص شرطا في وجود الاجتهاد. لذلك نستطيع أن نقرر أن العلاقة بين النص والاجتهاد علاقة تلازم ومصاحبة دائماً وأبداً.

وعليه فموقف المجتهد أمام النص الإسلامي لايعدو أن يكون واحدا من المواقف الآتية:

1- أن يكون النص" ظني الثبوت" لاخلاف هنا على ضرورة الاجتهاد في ثبوت هذا النص
2- أن يكون النص" ظني الدلالة"، لا خلاف في الاجتهاد في دلالة هذا النص،
3- أن يكون النص"ظني الدلالة والثبوت معا" لا خلاف في الاجتهاد في دلالة النص وثبوته معاً،
4- أن يكون النص "قطعي الدلالة والثبوت" وهذا هو الذي وقع فيه الكلام والنقاش بين أهل العلم.

فالمنهج الإسلامي يقضي بأن الاجتهاد يكون في النص القطعي الدلالة والثبوت معا، لكن بتحديد طبيعة الاجتهاد مع هذا النص، وذلك من خلال:

أ- فهم النص وتنزيله التنزيل السليم على الواقع الإنساني.

ب- الاجتهاد في المقارنة والموازنة بين النص الشرعي ونظائره الواردة في موضوعه والموافقة والمخالفة لمعناه، وهذا أمر لا خلاف فيه عند العلماء.

ت- الاجتهاد في استنباط الجزيئات والفروع من النص قطعي الدلالة والثبوت.

لكن الخلط جاء من عدم التمييز بين النصوص التي تعلقت بالثوابت الدينية والتي تعلقت بالمتغيرات من الفروع الدنيوية، فالأولى من شريعة وعقيدة وشعائر العبادات،،،الخ، فوظيفة الاجتهاد هنا هي الفهم واستنباط الفروع وربطها بالأصول والمقارنة والترجيح، ولايتعدى الاجتهاد هذه الحدود، معناه أن هذه الآحكام المستخرجة بالاجتهاد من الدلالات القطعية لهذه النصوص والقطعية الثبوت لايجوز تغييرها أو تبديلها بوجه من الوجوه بدعوى الاجتهاد والتجديد، فهذا لايمكن ولايقبل في التصور الإسلامي السليم، وإلا خرج الاجتهاد عن الدين وقواعده وضوابطه وأحدث ديناً جديداً، ولدخل العقل الاجتهادي المسلم في العبث والتسيب.

أما ما يتعلق بالمتغيرات من الفروع الدينية، فليس معناه الاجتهاد الذي يرفع النص- أو يضعه في زمانه ومكانه، كما هو ديدن الكثير من الدعوات والصيحات التي تنادي بالاجتهاد، متجاوزة ثوابت النص وقطعياته- فالاجتهاد هنا هو مدى تحقق الشروط الازمة لإعمال النصوص وأحكامها. فعمل النص قائم أبداً، غاية الأمر أن قيام عمله- بتعبير الفلاسفة- بالفعل أحيانا وبالقوة أحيانا أخرى، فالحكم قائم أبداً ، وهو متراوح بين التنفيذ ووقف التنفيذ دون تجاوز دائم أو إلغاء، ولنا في تاريخ التشريع الإسلامي وفي فترة الصحابة خاصة نماذج تطبيقية في هذا الباب، مثل اجتهادات عمر بن الخطاب، في عدم قطع يد السارق، لأن واقع المجتمع الإسلامي كان يعاني من مجاعة وكان الإنسان يعسر عليه

أن يجد ما يأكل، وكذلك منع إعطاء المؤلفة قلوبهم ماكانوا ياخذونه، بحجة أن شوكة الآمة قد تقوت ولاحاجة لاستماتة القلوب، فمن شاء فاليومن ومن شاء فاليكفر فكان الواقع الإنساني حاضرا في كل خطوة يقوم بها هؤلاء الصحابة، ومن جاء بعدهم من المسلمين، وهو المنهج السليم الذي ينبغي مراعاته عند تعاملنا مع النصوص الشرعية، تحقيقا لمقاصد الخلق في الدنيا والاخرة.

أما طه جابر العلواني فقد ذكر أولا تعريفات اللغويين للفكر، ثم ذكر معنى الكلمة في القرآن، وقال إنها تدل على الحدث الذي هو الفكر وتدل على الذات الفاعلة التي هي المفكرة[53] ثم قال بأن القدماء قد تطرقوا إلى معنى الفكر، وأن الخلاصة التي خرج بها من خلال الدراسة هي: أن الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلبا أو روحا أو ذهنا بالنظر و التدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء". ثم ذكر لتوضيح المعنى تعريف الغزالي للفكر و الذي هو إحضار معرفتين في القلب ليستخرج منهما معرفة ثالثة. ثم يضرب مثلا لتأكيد المعنى الذي يريده، فقال بأن ﴿ أقيموا الصلاة﴾ أذا أرادت تحويلها إلى قضية فكرية فستكون إقامة الصلاة مقدمة فيها فعل أمر وكل فعل أمر فهو واجب، فهذا دليل لغوي، و المقدمة الثانية هي أن الأمر واجب التنفيذ فهذا دليل أصولي، فوجوب الصلاة هي المقدمة الثالثة التي نتوصل إليها نتيجة الربط بين المقدمتين. وقال إن هذا العمل هو فكر. فالفكر عند طه وفقا لهذا التعريف هو إعمال العقل أو النظر، وهو التعريف نفسه الذي نقلناه عن القدماء. وسنرى عد مناقشة كتب الدكتور طه مدى التزامه بهذا التعريف. أما د. عبد الكريم بكار فقد اعترف بأن كلمة التفكير من الكلمات الغامضة التي نستخدمها ولكننا نعجز عن شرحها، ثم ذكر تعريفات لمجموعة من علماء الغرب والمناطقة وعلماء النفس، وعلماء التربية تدور حول النشاطات العقلية و النفسية التي يقوم بها الإنسان وهو يواجه مشكلة ويريد حلها، ثم قال: "وهذه التعريفات كلها تدور حول قضية واحدة هي: تردد العقل في جملة من المعطيات توسلا إلى ما يرتبط بها من المجهول بطريقة منهجية[54] وقال كذلك: " وإنما نعني بالتفكير ذلك الترديد للعقل في مشكلة ما ترديدا مركزا، ولم يذكر الدكتور بكار تعريف للفكر، وإنما عرف التفكير، ولكن من خلال قراءة الكتاب نرى أنه يتحدث عن الأفكار والفكر والتفكير بصفتهما شيئا واحدا، مما يدل على تعميمه التعريف على هذه المسميات، فهو مثلا يقول إن الأمة في تخلف وفقر، ولا يمكننا النهوض بها إلا عن طريق"الفكر المتحفز" الذي لا يعلم طعم الراحة حتى ينبلج الفجر المنتظر. وكذلك عندما يتكلم مثلا عن علاقة التفكير باكتشاف السنن، فإنه يقول: فإذا كان هناك أمر يحتاج إلى جهد فكري مكثف فإنه سيكون اكتشاف السنن، هكذا يمكن أن نقرر بأن مفهوم الفكر والتفكير هو بمعنى واحد عند الدكتور بكار ويشملهما تعريفه السابق.

أما محمد هاشم سلطان. فلم يعرف الفكر تعريفا واضحا، لكنه ذكر تعريفا لرشيد رضا من كتابه الوحي المحمدي يبين فيه أن الفكر بمعنى النظر وهو أعظم وظائف العقل. وهذا التعريف يدل على أن الكاتب يرى بأن الفكر هو إعمال العقل، وهو التعريف الذي ذكره القدماء[55].

---

[53]- الأزمة الفكرية المعاصرة ص25-26

[54]- د بكار عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1993) ص 13-14

[55] العقيدة والفكر الإسلامي ص 23

في حين نجد عبد الكريم بكار يعرف الفكر الإسلامي بأنه" عبارة عن مجموعة من الرؤى والتحديات والطروحات والاجتهادات التي توصل إليها العقل المسلم من خلال استيعاب الواقع الموضوعي والارتقاء به وحل مشكلاته"

ويمكن أن نعرف الفكر الإسلامي أيضا بأنه" خلاصة التفاعل بين الشخص(المفكر) وبين النصوص الشرعية والمشاكل الواقعية، من جهة أخرى، وذلك في الجانب النظري من الإسلام".

وسنكتفي بهذا القدر من تعريفات المحدثين للفكر الإسلامي، وذلك لما فيها من الكفاية للدلالة على القصد الذي نريد أن نصل إليه، وهو مفهوم كلمة الفكر عند المحدثين، وطريقة استخدامهم للكلمة في كتبهم. ويمكن لمن أراد الاستزادة مراجعة الكتب التي تتحدث عن الفكر أو العقل، أو الأزمات المعاصرة التي تمر بها الأمة، مثل: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، للدكتور عبد المجيد النجار وأزمة العقل المسلم للدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان وموسوعة أخلاق القرآن، للدكتور أحمد الشرباصي وكتاب قضايا معاصرة للدكتور أحمد خليل وتجديد الفكر الإسلامي لحسن الترابي ومحسن عبد الحميد وغيرها من الكتب.

استنتاجات

من خلال ما سبق نستطيع التأكيد علي القضايا التالية:

الفكر الإسلامي إذن، هو جهد بشري من جهة، ولكنه يمتاز بكونه إسلامي الاستمداد والاطار من جهة أخرى، فهو يؤخذ به ويعتمد عليه على قدر حجته وقوته وفائدته، وعلى قدر تطابقه وتوافقه مع التصور الإسلامي، ويرد منه بقدر ما يكون على خلاف ذلك،

إن ما يسمى بالعلوم الإسلامية أو العلوم الشرعية من تفاسير وشروح الحديث النبوي وفقه، وأصول فقه، وفكر صوفي، وفكر فلسفي، ودراسات إسلامية تربوية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو...يدخل معظم مافيه تحت مسمى الفكر الإسلامي، ولانستطيع أن نجزم بشيء منه على أنه إسلام أو أنه شريعة إسلامية، إلا ما دلت عليه نصوص الشرع وأصوله بشكل واضح لانزاع فيه بين علماء الأمة، ولنا المثل في الامام مالك رحمه الله حيث اعتبر كل كلام جاء نتيجة اجتهاد ونظره كلام بشري نسبي يتأثر بالزمان والمكان، يقول هذا الصدد" كل كلام يؤخذ منه ويرد إلا كلام صاحب هذا القبر" وأشار إلى قبر النبي علية الصلاة والسلام،

- كل نتاج فكري تقيد بالضوابط التي حددها العلماء في تعريفاتهم ، يمكن أن ينطوي تحت مسمى الفكر الإسلامي، وهذا لايمنع البحث في المعارف والعلوم التي تقوم عليها حياة الإنسان على الاكتشاف والابتكار وإعمال العقل فيما له، وهذا ماحققه الفكر الإسلامي، فقد أسهم بقسط وافر في توجيه الكثير من النظم والقوانين الحضارية التي أصبحت بمثابة الدعائم الأساسية للحضارة الحديثة.

- الفكر الإسلامي هو عبارة عن مسرح تتجلى فيه كل أشكال المعرفة، يسمو بسمو مصدجره ونبل مقاصده، لذلك فهو يبعث عندما يكون مصدراه الوحي والكون ومقصداه وهدفاه العلم والعدل

- أن كل ما ورثناه عن السلف الصالح من تراث فكري ومعرفي، كان نتيجة اجتهاد ونظر.ومن ثم فمن حق الأجيال الأخرى المتعاقبة أن تعيد النظر في كل ما وصل إليها من اجتهادهم، وأن تُحَكم في هذه المراجعة والتصويب المقاييس والمعايير المتفق عليها في المنهج العلمي السليم وأن تكون الاستفادة من هذا الإرث الثقافي والحضاري، بحسب ما يخدم بناء الأمة. مع التنبيه إلى أن هذا لايعني الانتقاص من أحد فهم عندنا في مكان الاحترام والتقدير- وإنما هو مذهب السلف الذي أورثنا تلك الثروة الفكرية الهائلة التي تدل على حيوية ونضج العقول وسعة الصدور، ويسعنا ما وسعهم، فلقد كانت لهم مدارس واتجاهات، ومذاهب واجتهادات وموافقات ومخالفات وترجيحات..

- أن القرآن الكريم وإن كان محدودا بحروفه وكلماته، فهو غير محصور ولا محدود بمعانيه وأحكامه وتوجيهاته..، لذلك فمن واجب كل جيل أن يعيد قراءته وتأسيس منهج جديد للفهم والتعامل معه، في مواجهة أزمات العصر ومشكلاته في شتى مناحي الحياة،ذلك أن القرآن الكريم لم يأت لجيل واحد من أجيال المسلمين وإنما جاء لكل الأجيال إلى قيام الساعة.ولابد من الإشارة هنا إلى أن ما فهمه الجيل من الصحابة ومن جاء بعدهم من القرآن الكريم، لايمكن أن يكون مانعا للجيل الذي يأت من بعد هؤلاء من التأمل والتدبر وإعمال العقل وتحريك الفكر في فهم آياته وما تضمنته من معان وإيحاءات ودلالات. كما لايمكن أن يكون متعارضا مع ما يصل إليه العلماء من معان، بل إن إعجاز القرآن ن يتسع لكل هذه المعاني التي تلبي حاجة البشرية في كل عصورها وبيئاتها وبهذا يختلف القرى ن الكريم عن الكتب البشرية المحدودة في معانيها.

لذلك نقول إننا ملزمون بفهم القرآن طبقا لدلالة الكلمات في عصر نزول القرآن ومن ثم فلا يجوز بحال من الأحوال أن نزل معاني كلمات القرآن على ما عرف بعد عصر النزول. ومع ذلك فإن معاني القرآن لاتؤخذ من معاني الكلمات المفردة، وإنما هي مخبوءة في الجمل والأساليب وطريقة النظم، وفي ذلك مجال واسع للتأمل والتفكر والاستنباط،وبذلك يظهر خطأ ما ذهب إليه محمد أركون الذي ذهب إلى القول بعدم إعطاء القرآن معاني جديدة في حاجات معاصرة، مستندا في رأيه إلى أن دلالات الألفاظ لايجوز أن تحمل على معاني معاصرة، لأنها نزلت طبقا لعرف تاريخي،مما جعله يبشر بالتاريخية أو التاريخانية.

- الحرص على إيجاد المنهج القويم ونعني به؛ مجموعة من الضوابط والشروط والموجهات التي تضبط حركة الفكر الإسلامي وتوجه العقل الإنساني نحو إنتاج الفكر الحي المتوافق قيم الوحي ومعايره ومقاصده ورؤيته للكون والإنسان والحياة

- إن الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام، ومن ثم فهو دائم التجدد والمراجعة، لما تعرفه الأمة الإسلامية من حالة الجمود والتراجع الذي أصابت منظومتها الثقافية والفكرية منذ ق 5هـ، في الوقت الذي تغيرت فيه البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية... ونشأت قطاعات واسعة من الحياة لا يشملها ولا يغطيها بالدرجة المناسبة رصيدها الفقهي- على ما فيه من ثراء بالغ الأهمية- وهو ما أدى إلى وجود فجوة ومفارقات واسعة بين أطروحات الفكر الإسلامي السائدة، وبين واقع الأمة الراهن، بحيث أصبح فكر هذه الأمة فكرا تجريديا بعيدا عن قضايا الناس وهموم المجتمعات، بحيث انطلق من مفردات الاجتهادات التاريخية وأساليبها من دون دراسة المتغيرات الكبيرة التي تحكم الواقع في تطور قضاياه وحاجاته ووسائله وعلاقاته،، وبالتالي لا يكلف نفسه عناء التفكير في القضايا المطروحة على صعيد الاجتهاد الجديد الذي قد يكتشف بعض الأخطاء في آراء القدامى من السلف الصالح الذين قد يكونون خاضعين له في اجتهادهم، في ثقافة ظرفية محددة، أو تجربة فقهية معينة،

بحيث كان لهذه المؤثرات دور كبير في النتائج لأنها قد تبعد الإنسان عن الاستقلال الفكري في نظرته إلى النص أو القاعدة، الأمر الذي يتيح الفرصة لإعادة نظر المجتهدين المحدثين في المسألة بشكل أكثر عمقا وأوسع أفقا، وأكثر أصالة، وأنسب للظرف الزماني والمكاني([56]).

- ضرورة القيام بالمراجعة الشاملة للمنتوج الفكري، وهو ما تنبه إليه الكثير من العلماء والمفكرين لذلك نجد مثلا د حسن الترابي يصور لنا الحالة التي وصل إليها الفكر الاسلامي من اغتراب عن محيطه وواقعه، فيقول: "إن الواقع يؤكد أن الفكر الإسلامي قد انقطع عن حياة الناس وأصبح فكرا مجردا." فصار الفكر الإسلامي موسوما بحالة من الجمود والانغلاق، وليس ثمة عطاء متجدد فاعل فيه، فنحن نخضع -أحيانا- بعض القضايا المعاصرة المحدثة إلى ضوابط وتصورات تراثية ظانين أنه ليس في الإمكان أفضل مما كان.لذلك نرى أن الجمود الذي تعانيه الأمة في عمومها، ما هو إلا بسبب انغلاق العقل المسلم، وهروبه من الواقع؛ بحيث أصبح الإنسان لا يرى إلا ذاته ونفسه بعد أن عزل الآخر وافقه أو خالفه.

- فالجمود والتحجر ورفض أي جديد لأنه جديد، والحفاظ على الماضي لأنه ماض، يجعل العقل المسلم يعيش أسير مقولات ثابتة وجازمة ونهائية في تصوره، فهي لا تقبل المراجعة، وتتعالى على النقد والمساءلة والتقويم، مما يبقى هذا العقل المسلم مشدودا لها على الدوام لا هم له سوى الحفاظ عليها والدفاع عنها وعدم التفريط فيها، فترى المحافظ تضطرب فرائصه من كل ملاحظة تطالها بالنقد لأنها من قناعاته ويقينياته الراسخة؛ مع "أن المواجهة والنقد لا تعني بالضرورة أن يتخلى الإنسان عن منظومته الفكرية، أو يتنازل عن هويته الحضارية، بل إعادة النظر في ضوء الواقع واختيار صحة مقولاته للارتكاز إليها في الانطلاق نحو المستقبل"([57]).

إن حالة الاستنقاع الحضاري، والركود الفكري، والتقوقع على الذات، وشيوع التقليد والتبعية هذه –وغيرها– معوقات ومقيدات لأي فعل حضاري تجديدي إحيائي، لذلك يتطلب تفكيرا جادا ومسؤولا، في كيفية تحويل هذه العقبات والمعوقات -بنفخ فيها روح الفاعلية- إلى إمكانيات ومحرضات حضارية، وفي هذا المعنى يقول

- إن تطلعات النهضة الحضارية تبقى آمالا جوفاء إذا لم يعمل على تجديد خطاب الفكر؛ فلا نهضة حضارية بدون تغيير وتجديد في المنظومة الثقافية والفكرية والمعرفية للأمة، كما أنه لا خروج من دائرة التخلف، والانحسار الحضاري من دون الخروج من دائرة الجمود العقلي، والانغلاق على الذات، والقضاء على عقلية الخرافة، والتخلص من اليباس الفكري والثقافي.

- إن العجز عن إدراك أهمية صناعة الأفكار البانية في إعادة الاعتبار للأمة المسلمة، وتمكينها من قيادة البشرية، والشهادة على الناس، هو الذي أوصلنا إلى هذا الواقع المريع، من الاستعباد الفكري والسقوط الحضاري والانشطار الثقافي. ومن ثم تصبح الحاجة مناسبة إلى جعل قضية الاجتهاد الفكري ضمن أولويات العمل في برامج ومناهج العقل المسلم؛ لأن المفتاح الذي يمكن الأمة من تجاوز حالة العجز والدفع بها إلى تحقيق الوقاية الحضارية، في أفق التمكن من تقديم البديل الحضاري القرآني المعاصر، ليس فقط لذات الأمة، وإنما للبشرية كافة واعتبار هذه العملية من الفرائض الغائبة.

---

[56] -ينظر، محمد حسن فضل الله، تأملات في الخطاب الإسلامي المعاصر. مجلة " المنطلق " ع 108و109/ 11-14.

[57] - ماجد الغرباوي، إشكاليات التجديد: 88